هل تتنزل أحاديث الطائفة المنصورة وفضائل أهل الشام وأهل الغرب على حركة حماس الإخوانية؟

وهل يدخل جند مصر في أهل الغرب الذين هم من الطائفة المنصورة؟

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اتَّبع هداه،

أمَّا بعد، فهذا بحثٌ بعنوان:

"هل تتنزل أحاديث الطائفة المنصورة وفضائل الشام على حركة حماس الإخوانية؟

وهل يدخل جند مصر في أهل الغرب الذين هم من الطائفة المنصورة؟

ومن الممكن -من أجل إجابة هذا السؤال- أن نقسِّم البحث إلى ثلاثة مباحث:

(المبحث الأول): أحاديث الطائفة المنصورة وتعيين هذه الطائفة.

(المبحث الثاني): أحاديث أهل الشام، وأهل الغرب، ومعناها.

(المبحث الثالث): أحاديث أهل الغرب، ومعناها.

(المبحث الأول): أحاديث الطائفة المنصورة وتعيين هذه الطائفة:

١. عن المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»، أخرجه البخاري ومسلم.
٢. عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ هَانِئٍ، حَدَّثَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ، عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»، أخرجه مسلم.
٣. عن يَزِيد بْن الْأَصَمّ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، ذَكَرَ حَدِيثًا رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ أَسْمَعْهُ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِنْبَرِهِ حَدِيثًا غَيْرَهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَلَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، أخرجه مسلم، وبنحوه أخرجه البخاري من طريق حميد عن معاوية.
٤. عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: "فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ"، أخرجه مسلم.
٥. عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، أخرجه مسلم.
٦. عن عقبة بن عامر، أنه قال: سمعت رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، أخرجه مسلم.

قلت: بوّب البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسّنة: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ» يُقَاتِلُونَ وَهُمْ أَهْلُ العِلْمِ".

وقال التِّرْمِذِيُّ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ هُوَ الْبُخَارِيُّ يَقُولُ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْمَدِينِيِّ يَقُولُ: "هُمْ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ".

وأخرج الخطيب في "شرف أصحاب الحديث" (ص٢٦- ٢٧) بأسانيد صحيحة هذه الآثار عن عدد من أئمة السلف الصالح كلُّهم يعيّنون الطائفة المنصورة أنهم أصحابُ الحديثِ والْآثَارِ:

أولاً: يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ:

أخرج من طريقه عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» . قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَصْحَابَ الْحَدِيثِ، فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ.

ثانيًا: عبدالله بن المبارك:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَعْقُوبَ الطَّالْقَانِيُّ، أَوْ غَيْرُهُ، قَالَ: ذَكَرَ ابْنُ الْمُبَارَكِ حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: هُمْ عِنْدِي أَصْحَابُ الْحَدِيثِ.

ثالثًا: أحمد بن حنبل:

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْخَلِيلِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْفَضْلَ بْنَ زِيَادٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَذَكَرَ حَدِيثَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ»، فَقَالَ: إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَصْحَابَ الْحَدِيثِ فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ؟، وَأَخْرَجَه الْحَاكِمُ فِي "معرفة عُلُومِ الْحَدِيثِ".

رابعًا: أحمد بْن سِنَانٍ:

عن أَحْمَدَ بْن سِنَانٍ، وَذَكَرَ، حَدِيثَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ»، فَقَالَ: هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ وَأَصْحَابُ الْآثَارِ.

وقال الحافظ في "الفتح" (١٦٤/١): "وَقَدْ جَزَمَ الْبُخَارِيُّ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِمْ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْآثَارِ... وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: أَرَادَ أَحْمَدُ أَهْلَ السُّنَّةِ وَمَنْ يَعْتَقِدُ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَدِيثِ".

قلت: وذهب طائفة من العلماء إلى العموم:

قال الحافظ في "الفتح" (١٦٤/١): "وَقَالَ النَّوَوِيّ: يُحْتَمل أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الطَّائِفَةُ فِرْقَةً مِنْ أَنْوَاعِ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّنْ يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ مُجَاهِدٍ وَفَقِيهٍ وَمُحَدِّثٍ وَزَاهِدٍ وَآمِرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَلَا يَلْزَمُ اجْتِمَاعُهُمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا مُتَفَرِّقِينَ".

قال ابن المَلَك في "شرح مصابيح السنة للبغوي" (١٦٤/١): "قيل: هم جيوش الإسلام، وقيل: هم العلماء والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، فتكون مقاتلتُهم معنويةً".

قال المُظهري في " المفاتيح في شرح المصابيح" (٢٦٢/١): "طائفة قائمون على الدين، ثابتون على أوامر الله تعالى، متباعدون عن المعاصي، آمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر، وحافظون أمور الشريعة.

قوله: "لا يضرهم من خذلَهُم ولا مَنْ خالَفَهُم"، (خذل): إذا ترك أحدًا عن المعاونة؛ يعني: لا يتفاوت عندهم إن ترك الناس معاونتهم ولا أن يحاربوهم، بل لو اجتمع أهل الأرض على أن يمنعوهم عن دين الله تعالى، لم يقدروا؛ لأن الله تعالى حافظهم وناصرهم، وهذا إشارة إلى أن وجه الأرض لا يخلو من الصلحاء".

قلت: والذي يظهر أن المشهور عند المتقدّمين من سلفنا الصالح أنهم اتفقوا على أن المقصود بالطائفة المنصورة هم أهل السُّنّة والحديث والأثر، ورءوسهم: العلماء، والعامّة من أهل السُّنّة هم تبع لهم.

ويدخل في أهل الحديث والأثر: كلُّ من يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ مُجَاهِدٍ وَفَقِيهٍ وَمُحَدِّثٍ وَزَاهِدٍ وَآمِرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ.

قال الحافظ في الفتح (١٧٤/١٣): "وَهُمْ ظَاهِرُونَ أَيْ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ أَيْ غَالِبُونَ أَوِ الْمُرَادُ بِالظُّهُورِ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُسْتَتِرِينَ بَلْ مَشْهُورُونَ وَالْأَوَّلُ أَوْلَى".

(المبحث الثاني): أحاديث أهل الشام، ومعناها:

قد صحَّ في فضائل الشام وأهله عدَّة أحاديث، منها ما يلي:

١. عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي نَجْدِنَا؟ فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ"، أخرجه البخاري (٧٠٩٤).

٢. عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ، حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ، بِالشَّامِ"، أخرجه أحمد في مسنده (٦٢/٣٦)، وصحَّحه الألباني في "تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق" (ص ١٣).

٣. عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّ سَلَمَةَ بْنَ نُفَيْلٍ، أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي أَسَمْتُ الْخَيْلَ، وَأَلْقَيْتُ السِّلَاحَ، وَوَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا قُلْتُ: لَا قِتَالَ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، يَزِيغُ اللَّهُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، وَيَرْزُقُهُمُ اللَّهُ مِنْهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَلَا إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، أخرجه أحمد في مسنده (١٦٤/٢٨)، وصحَّحه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٩٣٥).

٤. عَنِ ابْنِ حَوَالَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ. قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ. فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَإِنَّهَا خِيرَةُ اللَّهِ مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَبِي إِلَيْهَا خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَمَّا إِنْ أَبَيْتُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ، وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ"، أخرجه أبو داود (٢٤٨٣)، وصحّحه الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٢٤٨٣). والغُدُر: جمع غدير، وهو الحوض.

٥. عن مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ"، أخرجه الترمذي (٢١٩٢) وقال: "وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ".

٦. عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت: يا نبي الله! ما كان أوّل بدء أمرك؟ قال: "دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أُمّي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام"، صحَّحه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٤٥).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٤٤٤/١): "وتخصيص الشام بظهور نوره: إشارة إلى استقرار دينه، ونبوته ببلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم".

أقول: أولاً: ما هي حدود الشام؟

فإذا ذُكِرت الشام انصرفت أذهان البعض إلى أنها فلسطين فقط، وهذا فهم خاطئ:

قال أبو عبيد عبدالله البكري في "معجم ما استُعجِم" (٧٧٣/٣): "الشأم: مهموز الألف، وقد لا يهمز، وهو البلد المعروف. قيل إنّه سمّى بشامات هناك حمر وسود. ولم يدخلها سام بن نوح قطّ، كما قال بعض الناس: إنه أوّل من اختطّها، فسمّيت به، واسمه سام بالسين المهملة، فعرّب، فقيل شام، بالشين المعجمة".

وقال محمد كرد علي في "خطط الشام" (٧/١): "الشأْم والشأم والشام والشآم هو اسم هذا القطر العزيز على ما عرفته العرب، وهو يتناول عامة الأقاليم الداخلة اليوم في فلسطين وسورية بحسب الاصطلاح الحديث".

وقال في (٩/١) في بيان حدّ الشام قديمًا: "وحدُّ الشام من الغرب البحر المتوسط أو بحر الروم أو بحر الملح أو بحر الشام، ومن الشرق البادية من أيلة إلى الفرات.

وأيلة مدينة قديمة على البحر الأحمر أو القلزم وهي على مقربة من العقبة اليوم، ثم يذهب الحدُّ من الفرات إلى حدِّ الروم أو آسيا الصغرى وشمالاً إلى الروم وجنوبًا حدّ مصر وتيه بني إسرائيل".

وقال في (١١/١): "قدر القدماء طول الشام من العريش إلى الفرات بمسيرة نحو شهر".

وقال الشريف الادريسي (ت ٥٦٠هـ) في "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" (٣٥٤/١): "وأما حدود فلسطين وهي أول أحواز الشام وحدودها مما يلي المغرب مقدار أربعة أيام وذلك من رفح إلى اللجون وعرضه من يافَا إلى ريحا مسيرة يومين".

قلت: وعليه فإن الشام يدخل فيها في الوقت المعاصر: فلسطين، والأردن، وسوريا، وبعض مناطق العراق؛ وفلسطين هي أول بلدان الشام من جهة الغرب.

لذلك لا حجّة لمن قصر أحاديث فضائل الشام على أهل فلسطين دون بقية الشام، فكيف بتنزيل هذه الأحاديث على حزب بعينه، تحت دعوى أنه هو وحده الذي يجاهد اليهود.

وثانيًا: تخصيص الطائفة المنصورة والإيمان بالشام لا يعني حصر هذا بالشام دون بقية بلاد الإسلام، فهذا لم يقل به أحدٌ قطّ، إنما المقصود: أن الشام -بمعناها الشامل للبلاد المذكورة آنفًا، ليست فلسطين فقط- هي عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ في غالب الأزمان، ويتأكّد هذا في آخر الزمان، حين يقتل المسيح عليه السلام الدّجَّال بباب لُدٍّ بالشام، كما في حديث النَّوَّاس بن سَمعان: " فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ".
قلت: لكن قد يتخلَّف هذا في بعض مناطق الشام أو في زمنٍ ما، كما هو الحال في زماننا؛ وذلك حين يضعف الإيمان ويتفرَّق المسلمون إلى شيع وأحزاب؛ وبذلك تمكَّن اليهود من بيت المقدس وما حوله، وقطّعت بلاد الشام إلى دويلات ضعيفة، وسيَّطر الرافضة الفرس المجوس في إيران على أغلبها في السنوات الغابرة، مع سيطرة النُّصيرية التابعة لهم على سوريا.
وهذا المعنى بيَّنه الألباني باختصار بقوله -رحمه الله- في الضعيفة (٨٧٨/١٣): "ولكن ذلك لا يستلزم الدوام، وعدم وجود الطائفة في إقليم آخر".
قلت: وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم في حديث قُرَّة إلى أن أهل الشام قد يفسدون، وأن هذا يعدُّ علامة على تفشي الشرّ في الأمَّة، حيث قال: "إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ"، لكن رغم هذا بشَّر صلى الله عليه وسلم ببقاء الطائفة المنصورة؛ مما ينبئ أنها ليست محصورة في الشام، كما يدندن البعض جهلاً.

وقد يظنُّ ظانّ أن تكرير الدعاء للشام يعني أنها أفضل من مكة، وقد أبطل هذه الشبهة ابن بطّال بقوله في شرحه على البخاري: "وهذا اعتراض غير لازم؛ لأن الأمَّة مجمعة أن مكة أفضل من الشام واليمن وجميع الأرض غير المدينة، فلمَّا تقرر هذا لم يكن تكرير الدعاء للشام واليمن موجبًا لفضلهما على مكة؛ لأنه لم يقصد بالدعاء لهما التفضيل على مكة، وإنما قصد التفضيل لهما على نجد".

قلت: وقد تجد -في زماننا زمان غربة الإسلام- من غلاة الصوفية والحزبيين من يغالي في هذا الباب، بل بعضهم يقول -بغضًا في الدولة السعودية-: إن بيت المقدس في هذا الوقت أفضل من مكة والمدينة؛ لأن مكة والمدينة في أيدي الوهّابية! وقد يعتقد بعضهم هذا دون أن يصرّح به! خابوا وخسِروا!

(المبحث الثالث): أحاديث أهل الغرب، ومعناها:

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، أخرجه مسلم.

قال القاضي عياض في "إكمال المعلم" (٣٤٨/٦): "قال على بن المديني: هم العرب. والمراد بالغرب: الدلو الكبيرة لاختصاصهم بها، وقيل: إنه على ظاهره، وإنما أراد غرب الأرض، قال معاذ في الحديث: " وهم بالشام "، وقد جاء مفسَّرًا في حديث رواه الطبري: "ببيت المقدس أو أكناف بيت المقدس"، وقيل: هم أهل الشام وما وراء ذلك، وقيل: المراد بأهل الغرب: أهل الشدة والجلد، وغرب كل شيء حدّه".

قال في "المشارق" هي بفتح الغين وسكون الراء. وروي عن علي بن المَديني أنه قال: المراد بالغَرب الدَّلْو، أي العَرَب، بفتح المُهملتين؛ لأنهم أصحابها لا يستسقي بها أحد غيرهم، لكن في حديث مُعاذ "وهم أهل الشام"، فالظاهر أن المراد بالغَرب البلد؛ لأن الشام غَربيّ الحجاز، كذا قال: وليس بواضح.

ووقع في بعض طرق الحديث "المَغْرب" بفتح الميم وسكون المعجمة، وهذا يرد تأويل الغرب بالعرب، لكن يحتمل أن يكون بعض رواته نقله بالمعنى الذي فهمه، أن المراد الإقليم لا صفة بعض أهله. وقيل: المراد بالغرب أهل القوة والاجتهاد في الجهاد، يقال: في لسانه غَرَب، بفتح ثم سكون، أي: حِدّة، وفي الطَّبراني الأوسط عن أبي هريرة "يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها، وعلى أبواب المَقْدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم، ظاهرين إلي يوم القيامة".

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله– في مجموع الفتاوى (٤٤٨/٤): "وَالنُّصُوصُ الَّتِي فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَأَصْحَابِهِ فِي فَضْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْغَرْبِ عَلَى نَجْدٍ وَالْعِرَاقِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ هُنَا بَلْ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ النُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ فِي ذَمِّ الْمَشْرِقِ وإخباره بِأَنَّ الْفِتْنَةَ وَرَأْسَ الْكُفْرِ مِنْهُ مَا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ، وَإِنَّمَا كَانَ فَضْلُ الْمَشْرِقِ عَلَيْهِمْ بِوُجُودِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ وَذَاكَ كَانَ أَمْرًا عَارِضًا؛ وَلِهَذَا لَمَّا ذَهَبَ عَلِيٌّ ظَهَرَ مِنْهُمْ مَنْ الْفِتَنِ وَالنِّفَاقِ وَالرِّدَّةِ وَالْبِدَعِ: مَا يُعْلَمُ بِهِ أَنَّ أُولَئِكَ كَانُوا أَرْجَحَ.

وَكَذَلِكَ أَيْضًا لَا رَيْبَ أَنَّ فِي أَعْيَانِهِمْ مِنْ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ كَمَا كَانَ عَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَعَمَّارٌ وَحُذَيْفَةُ وَنَحْوُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ أَكْثَرِ مَنْ بِالشَّامِ مِنْ الصَّحَابَةِ، لَكِنَّ مُقَابَلَةَ الْجُمْلَةِ وَتَرْجِيحَهَا لَا يَمْنَعُ اخْتِصَاصَ الطَّائِفَةِ الْأُخْرَى بِأَمْرِ رَاجِحٍ.

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيَّزَ أَهْلَ الشَّامِ بِالْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ دَائِمًا إلَى آخِرِ الدَّهْرِ، وَبِأَنَّ الطَّائِفَةَ الْمَنْصُورَةَ فِيهِمْ إلَى آخِرِ الدَّهْرِ فَهُوَ إخْبَارٌ عَنْ أَمْرٍ دَائِمٍ مُسْتَمِرٍّ فِيهِمْ مَعَ الْكَثْرَةِ وَالْقُوَّةِ وَهَذَا الْوَصْفُ لَيْسَ لِغَيْرِ الشَّامِ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ الْحِجَازَ – الَّتِي هِيَ أَصْلُ الْإِيمَانِ نَقَصَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ: مِنْهَا الْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ وَالنَّصْرُ وَالْجِهَادُ، وَكَذَلِكَ الْيَمَنُ وَالْعِرَاقُ وَالْمَشْرِقُ. وَأَمَّا الشَّامُ فَلَمْ يَزَلْ فِيهَا الْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ، وَمَنْ يُقَاتِلُ عَلَيْهِ مَنْصُورًا مُؤَيَّدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ فَهَذَا هَذَا، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ".

قلت: وهذا الفهم أيّده شيخ الإسلام حيث قال -كما في مجموع الفتاوى (٤٤٦/٤): "قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَد: وَأَهْلُ الْغَرْبِ هُمْ أَهْلُ الشَّامِ. وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مُقِيمًا بِالْمَدِينَةِ فَمَا يَغْرُبُ عَنْهَا فَهُوَ غَرْبُهُ وَمَا يَشْرُقُ عَنْهَا فَهُوَ شَرْقُهُ.

وَكَانَ يُسَمِّي أَهْلَ نَجْدٍ وَمَا يُشْرِقُ عَنْهَا أَهْلَ الْمَشْرِقِ".

قال الألباني في الصحيحة (٦٥٤/٢): "واعلم أن المراد بأهل الغرب في هذا الحديث أهل الشام؛ لأنهم يقعون في الجهة الغربية الشمالية بالنسبة للمدينة التي فيها نطق عليه الصلاة والسلام بهذا الحديث الشريف، ففيه بشارة عظيمة لمن كان فيها من أنصار السنة المتمسكين بها والذَّابين عنها والصابرين في سبيل الدعوة إليها. نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم وأن يحشرنا في زمرتهم تحت لواء صاحبها محمد صلى الله عليه وسلم".

قلت: ونحسب الألباني -رحمه الله-منهم، فقد عاش في دمشق ثم انتقل إلى عمان الأردن، وبها مات، وكان من أنصار السنة المتمسكين بها والذَّابين عنها والصابرين في سبيل الدعوة إليها إلى أن مات، نحسبه كذلك ولا نزكّيه على الله.

وقال -رحمه الله- في الضعيفة (٨٧٨/١٣): "وفي تفسير أهل الغرب" اختلاف، والظاهر أنهم أهل الشام؛ لأنهم غرب المدينة... ولكن ذلك لا يستلزم الدوام، وعدم وجود الطائفة في إقليم آخر".

قلت: لذلك أن الفهم الصحيح لقوله: **"لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ"، إنما يكون على وجهين:**

الوجه الأول: أن يكونوا على اعتقاد ومنهج السلف الصالح وأهل الحديث؛ لأنه صلى الله عليه وسلم قيّد هذا بقوله: "عَلَى الْحَقِّ"، فلا يقول -أبدًا- عالم يحترم علمه أنه يدخل في هذا أهل البدع بشتى طوائفهم من شيعة وصوفية وحزبية، ومنهم في زماننا: حزب الإخوان المسلمين، وجناحها في فلسطين: حماس.

والوجه الثاني: أن مفهوم أهل الغرب أوسع من حصره في الشام فقط، وهذا الذي فهمه عدد من العلماء، ويؤكّده إطلاقه صلى الله عليه وسلم القول: "أهل الغرب"، ولو أراد تقييده بالشام لقيّده، وإن كان الشام هو أقرب البلاد الغربية إلى المدينة، وإليك أقوال العلماء التي تؤكّد هذا الوجه:

قال القرطبيّ في "المفهم" (٧٦٣/٣): "وقيل: أراد به غرب الأرض... وهذه الروايات تدلّ على بطلان التأويلات المتقدّمة -يشير إلى التأويلات التي تقدّم نقلها-، وعلى أن المراد به أهل المغرب في الأرض، لكن أول المغرب بالنسبة إلى المدينة مدينة النبيّ -صلى الله عليه وسلم- إنما هو الشام، وآخره حيث تنقطع الأرض من المغرب الأقصى، وما بينهما، كلّ ذلك يُقال عليه: مغرب، فهل أراد المغرب كلّه، أو أوّله؛ كلٌّ ذلك محتملٌ".

ثم ذكر -بعد ذلك- أنه ولو أراد جملة أهل المغرب، فهذا مقيّد بتمسكهم بالسُّنّة وبنهج السلف الصالح، كما ذكرنا آنفًا، حيث قال: "قال أبو بكر الطرطوشيّ في رسالة بعث بها إلى أقصى المغرب بعد أن أورد حديثًا في هذا المعنى قال: -والله تعالى أعلم- هل أرادكم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو أراد بذلك جملةَ أهل المغرب لما هم عليه من التمسّك بالسنّة والجماعة، وطهارتهم من البِدَع والإحداث في الدين، والاقتفاء لآثار من مضى من السلف الصالح؟ والله تعالى أعلم".

وقال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٥٣١/٢٨): "مَعَ أَنَّهُ وَالْعِيَاذُ بِاَللَّهِ لَوْ اسْتَوْلَى هَؤُلَاءِ الْمُحَارِبُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ الْمُحَادُّونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ الْمُعَادُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى أَرْضِ الشَّامِ وَمِصْرَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ لَأَفْضَى ذَلِكَ إلَى زَوَالِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَدُرُوسِ شَرَائِعِهِ.

أَمَّا الطَّائِفَةُ بِالشَّامِ وَمِصْرَ وَنَحْوِهِمَا فَهُمْ فِي هَذَا الْوَقْتِ الْمُقَاتِلُونَ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ وَهُمْ مِنْ أَحَقِّ النَّاسِ دُخُولًا فِي الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْمُسْتَفِيضَةِ عَنْهُ: {لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ

وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ} وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: {لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ} وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ بِمَدِينَتِهِ النَّبَوِيَّةِ فَغَرْبُهُ مَا يَغْرُبُ عَنْهَا وَشَرْقُهُ مَا يَشْرُقُ عَنْهَا؛ فَإِنَّ التَّشْرِيقَ وَالتَّغْرِيبَ مِنْ الْأُمُورِ النِّسْبِيَّةِ؛ إذْ كُلُّ بَلَدٍ لَهُ شَرْقٌ وَغَرْبٌ".

وقال: "وَكُلُّ مَا يَغْرُبُ عَنْ الشَّامِ مِنْ مِصْرَ وَغَيْرِهَا فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْغَرْبِ".

وقال في (٥٥٢/٢٨): "وَأَوَّلُ الْغَرْبِ مَا يُسَامِتُ الْبِيرَةَ وَنَحْوَهَا؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ، وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ فَمَا يَغْرُبُ عَنْهَا فَهُوَ غَرْبٌ كَالشَّامِ وَمِصْرَ. وَمَا شَرَقَ عَنْهَا فَهُوَ شَرْقٌ كَالْجَزِيرَةِ وَالْعِرَاقِ".

قلت: هكذا يؤكّد شيخ الإسلام دخول مصر في مطلق قوله صلى الله عليه وسلم: "أهل الغرب".

وهذا الإطلاق فهمه أيضًا علي بن سلطان القاري حيث قال في "مرقاة المفاتيح" (٢٤٧٤/٦): "وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ: مِنْ جِهَةِ الشَّامِ لِيَدْخُلَ أَهْلُ الرُّومِ فِي الْمُرَادِ، فَإِنَّهُمْ الْقَائِمُونَ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِهَذِهِ الْوَظِيفَةِ الشَّرِيفَةِ حَقَّ الْقِيَامِ نَصَرَهُمْ اللَّهُ وَخَذَلَ أَعْدَاءَهُمُ اللِّئَامَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ".

قلت: ويؤكّد دخول أهل مصر وجندها في جملة "أهل الغرب":

حديث عَمْرَو بْنِ الْحَمِقِ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَكُونُ فِتْنَةٌ، يَكُونُ أَسْلَمُ النَّاسِ فِيهَا، أَوْ قَالَ: خَيْرُ النَّاسِ فِيهَا الْجُنْدَ الْغَرْبِيَّ»، قَالَ ابْنُ الْحَمِقِ: «فَلِذَلِكَ قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِصْرَ»[1].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣١٥/٨)، والبزار في مسنده (٢٨٧/٦)، من طريق عبدالله بن صالح عن أَبِي شُرَيْحٍ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ الْمَعَافِرِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ عَمِيرَةَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ الْمَعَافِرِيَّ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّهُ سَمِعَ عَمْرَو بْنِ الْحَمِقِ به.

وقال البزار: "وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُ أَحَدًا رَوَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ إِلَّا عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ وَحْدَهُ، وَلَا نَعْلَمُ لَهُ طَرِيقًا إِلَّا هَذَا الطَّرِيقَ، وَلَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنِ ابْنِ شُرَيْحٍ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ".

قلت: بل له طريق آخر أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٥٤/١)، فقال: قَالَ الْوَلِيدُ، وَقَالَ ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَكُونُ فِتْنَةٌ تَشْمَلُ النَّاسَ كُلَّهُمْ، لَا يَسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا الْجُنْدُ الْغَرْبِيُّ».

وأما قول البزار: "ولا نعلم رواه عن ابن شريح إلا عبدالله بن صالح"، فيه نظر فقد أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٩٥/٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٩٢/٤٥) من طريق عبدالله بن وهب عن أبي شريح عبدالرحمن بن شريح به.

مطلب: هو ابن شعيب قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال (١٢٨/٤): "مروزي.

سكن مصر، وحدث عن سعيد بن أبي مريم، وكاتب الليث.

قال ابن عدي: لم أر له حديثًا منكرًا سوى هذا، حدثناه عصمة البخاري، حدثنا مطلب، حدثنا أبو صالح، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه" اهـ.

عبد الله بن صالح: هو ابن محمد بن مسلم الجهني مولاهم، أبو صالح المصري (كاتب الليث بن سعد).

قال عنه أبو حاتم الرازي: سمعت أبا الأسود النضر بن عبدالجبار وسعيد بن عفير يثنيان على كاتب الليث.

وقال أيضًا: سمعت عبد الملك بن شعيب بن الليث، يقول: أبو صالح، ثقة مأمون، قد سمع من جدي حديثه، وكان يحدث بحضرة أبي، وأبي يحضه على التحديث.

وقال الحافظ في تقريب التهذيب (٣٣٨٨): " صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة".

وأبو شريح هو: عبدالرحمن بن شريح بن عبيد الله بن محمود المعافري، أبو شريح الإسكندراني.

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه، وإسحاق بن منصور عن يحيى بن معين، والنسائي: ثقة. زاد أحمد: ليس به بأس. وقال أبو حاتم: لا بأس به. وذكره ابن حبان في كتاب " الثقات "، وضعفه ابن سعد وحده، فقال: منكر الحديث.

قال الحافظ في تقريب التهذيب (٣٨٩٢): "ثقة فاضل لم يصب ابن سعد في تضعيفه".

قال السيوطي في "الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج" (٥١٤/٤) تعليقًا على حديث سعد بن أبي وقّاص: "لَا يبعد أَن يُرَاد بالمغرب مصر فَإِنَّهَا مَعْدُودَة فِي الْخط الغربي بالِاتِّفَاق"، ثم ذكر حديث عَمْرَو بْنِ الْحَمِقِ، ثم قال: "وَأخرجه مُحَمَّد بن الرّبيع الجيزي فِي مُسْند الصَّحَابَة الَّذين دخلُوا مصر وَزَاد فِيهِ: "وَأَنْتُم الْجند الغربي"، فَهَذِهِ منقبة لمصر فِي صدر الْملَّة واستمرت قَليلَة الْفِتَن معافاة طول الْملَّة لم يعترها مَا اعترى غَيرهَا من الأقطار، وَمَا زَالَت مَعْدن الْعلم

عميرة بن عبد الله المعافري: قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال (٢٩٧/٣): "مصري لا يُدرى من هو".

أبو عميرة عبدالله المعافري:

قال الألباني في السلسلة الضعيفة (١٠٦٦/١٣) عن عميرة بن عبدالله المعافري وأبيه: "عميرة بن عبد الله المعافري هو وأبوه مجهولان لا يعرفان.

أما هو، فقد أورده الذهبي في الميزان" وقال: "مصري لا يدرى من هو؟...

وأمَّا أبوه، فقد أغفلوه، ولم يترجموه، وذكر المزّي وتبعه الحافظ في الرواة عن عمرو بن الحمق؛ منسوبًا إلى أبيه عامر المعافري" اهـ.

عمرو بْن الحمق: هو ابْن الكاهن بْن حَبِيب الخزاعي:

قال ابن عبدالبر في الاستيعاب (١١٧٣/٣): "من خزاعة عِنْدَ أكثرهم. ومنهم من ينسبه فيقول: هُوَ عَمْرو بْن الحمق، والحمق هُوَ سَعْد بْن كَعْب، هاجر إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الحديبية. وقيل:

بل أسلم عام حجة الوداع، والأول أصح.

صحب النبيّ صلى الله عليه وسلم وحفظ عَنْهُ أحاديث، وسكن الشام، ثُمَّ انتقل إِلَى الكوفة فسكنها" اهـ.

وأما إسناد نعيم بن حماد ففيه ثلاث علل:

الأولى: الوليد بن مسلم وهو القرشي مولاهم أبو العباس الدمشقي ، مولى بني أمية.

قال عنه الحافظ في تقريب التهذيب (٧٤٥٦): "ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية".

الثانية: عبد الله بن لهيعة وهو ابن عقبة الحضرمي الأعدولي، ويقال الغافقي، أبو عبدالرحمن، ويقال أبو النضر، المصري الفقيه القاضي.

قال عنه الحافظ في تقريب التهذيب (٣٥٦٣): "صدوق من السابعة خلط بعد احتراق كتبه ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما وله في مسلم بعض شيء مقرون".

الثالثة: يزيد ابن أبي حبيب المصري: أبو رجاء واسم أبيه سويد.

قال عنه الحافظ في تقريب التهذيب (٧٧٠١): "ثقة فقيه وكان يرسل".

لكن للحديث شواهد، منها:

ما أخرجه ابن عبد الحكم في "فتوح مصر" (ص٢١/ ط مكتبة الثقافة)، في حديثه (مخطوط) (٢)، قال: حدثنا عبدالملك بن مسلمة، ويحيى بن عبدالله بن بكير، عن ابن لهيعة، عن ابن هبيرة، أن أبا سالم الجيشاني: سفيان بن هانئ، أخبره أنه سمع من يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إنكم ستكونون أجنادًا، وإن خيار أجنادكم: أهل الغرب منكم، فاتّقوا الله في القبط، لا تأكلوهم أكل الخضر".

وأخرجه أيضا الدولابي في "الكنى والأسماء" (٢/ ٥٧٣، رقم ١٠٢٧) من طريق ابن لهيعة به.

وكذلك يشهد لمعناه حديث أمّ سلَمة الآتي ذكره -إن شاء الله-.

وَالدّين، ثمَّ صَارَت فِي آخر الْأَمر دَار الْخلَافَة ومحط الرّحال وَلَا بلد الْآن فِي سَائِر الأقطار بعد مَكَّة وَالْمَدينَة يظْهر فِيهَا من شَعَائِر الدّين مَا هُوَ ظَاهر فِي مصر".

قلت: وهناك شاهد قوي؛ لإدخال جند مصر في أهل الغرب الظاهرين، وهو ما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير[٢] (٥٤٨٦/١٦) (٥٦٠/الطبعة الجديدة) من حديث أبي سلمة ابن عبدالرحمن عن أمّ سلمة أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَى عِنْدَ وَفَاتِهِ فَقَالَ: «اللهَ اللهَ فِي قِبْطِ[٣] مِصْرَ، فَإِنَّكُمْ سَتَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَكُونُونَ لَكُمْ عِدَّةً، وَأَعْوَانًا فِي سَبِيلِ اللهِ»[٤]. وفي رواية: «إِنَّكُمْ سَتَقْدُمُونَ عَلَى قَوْمٍ، جُعْدٌ رُءُوسُهُمْ، فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ قُوَّةٌ لَكُمْ، وَبَلَاغٌ إِلَى عَدُوِّكُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ» - يَعْنِي قِبْطَ مِصْر، والقبط هنا هم جنس المصريين.

قال رفاعة الطهطاوي في "مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية" في (ص١٧٨-١٧٩): "وكانت مصر كثيرة الجنود والعساكر، ولهم أصول تحملهم على الشجاعة، فكان العسكري الذي يظهر الجلادة في الحرب يعطى علامة الشرف والافتخار، والذي يجبن عن الحرب أو يفر من الزحف يعاقب بوسمه بعلامة العيب والعار والافتضاح بحيث تكون السمة ظاهرة على بدنه تلوثه وتدنسه بين أهل وطنه.

وهذا من المعجزات النبوية وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على من عاداهم إلى يوم القيامة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك[٥]، ألا وهم الجند الغربي"[٦].

---

(٢) "المعجم الكبير"، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مكتبة الأصالة والتراث – الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، عدد الأجزاء: ١٨.

(٣) قال الأزهري في "تهذيب اللغة": "قبط: قَالَ اللَّيْث: القبْط هم أهل مصرَ بُنْكُهَا. وَالنِّسْبَة إِلَيْهِم قِبْطيّ.

قَالَ: والقُبطيَّة، وَجَمعهَا القَباطيّ، وَهِي ثيابٌ بيض مِن كتَّان تُعمل بِمصْر، فلمَّا ألزمتْ هَذَا الاسمَ غيَّروا اللَّفْظ، فالإنسان قِبطيّ وَالثَّوْب قُبْطيّ".

(٤) انظر بحثًا مطوّلاً في فتاوى دار الإفتاء المصرية (١١٩/٤٥) في بيان الأحاديث في فضل جند مصر.

(٥) أخرجه بنحوه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثَوْبَانَ رضي الله عنه.

وأخرج البخاري (٧٣١١) من حديث المغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ».

(٦) منكر بهذا التمام: لم أقف عليه بهذا السياق، إنما قال أبو زرعة الدمشقي في "الفوائد المعللة: الجزء الأول والثاني من حديثه" (١٢٢) نا عبد الله بن صالح نا أبو شريح عبدالرحمن بن شريح الإسكندراني عن عميرة بن ناجية عن أبيه عن عمرو ابن الحمق أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم قال تكون فتنة خير الناس فيها أو أسلم الناس فيها الجند الغربي؛ فذلك قدمت عليكم مصر.

وأخرجه من طريق عبدالله بن صالح: البزّار في "البحر الزخّار" (٢٨٧/٦)، والحاكم في مستدركه (٤٩٥/٤)، والطبراني في الأوسط (٣١٥/٨).

وقوله: "ألا وهم الجند الغربي" زيادة في الروايات، وهذه الرواية إن لم تصح روايتها، صحَّت بالمعنى؛ لأن هذه الطائفة وهي كانت الطائفة الظاهرة التي أرادها النبي صلى الله عليه وسلم في قولهم، وعناهم بها؛ لأنه لم يظهر على التتار سواهم، وبهذه النصرة، دامت النصرة على التتار، وكانت بهم لا بغيرهم مع كثرة من كان من ملوك الإسلام، واجتهادهم في الجهاد، فتماسك بهذه المرة رمق الإسلام، وبقيت بقية الدين، ولولاهم لانصدع شعب الأمة، ووهي عمود الملة، ووصلت خيل عبدة الشمس إلى أقصى المغارب، ودكَّت جميع رعان الأرض".

وقال الأمير عمر طوسون في تأليفه "الجيش المصري البري والبحري على عهد محمد علي" (ص٥٩-٦٣) في بيان صلابة وشدة الجنود المصريين:

"لعلَّ المصريين من أكثر الناس صلوحًا واستعدادًا؛ لأن يصيروا جنودًا ممتازين فهم على وجه العموم أشدّاء أقوياء البنية متصفون بالقناعة والجلادة على احتمال المشاق والخضوع والطاعة والخلود إلى الصبر عند عثور الجدّ والإقدام على الخطر واقتحام النيران بلا خوف ولا وَجَل".

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٧/٣٩٩-٤٠٢): "فَمَا مَضَتْ سِوَى ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ حَتَّى جَاءَتِ الْبِشَارَةُ بِنُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّتَارِ بِعَيْنِ جَالُوتَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ الْمُظَفَّرَ قُطُزَ صَاحِبَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ التَّتَارَ قَدْ فَعَلُوا بِالشَّامِ مَا ذَكَرْنَا، وَقَدْ نَهَبُوا الْبِلَادَ كُلَّهَا حَتَّى وَصَلُوا إِلَى غَزَّةَ، وَقَدْ عَزَمُوا عَلَى الدُّخُولِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَقَدْ عَزَمَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَاحِبُ دِمَشْقَ عَلَى الرَّحِيلِ إِلَى مِصْرَ، وَلَيْتَهُ فَعَلَ، وَكَانَ فِي صُحْبَتِهِ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ صَاحِبُ حَمَاةَ، وَخَلْقٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ، وَقَدْ وَصَلَ إِلَى قَطْيَةَ، وَتَهَيَّأَ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ لِلِقَائِهِ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَإِلَى الْمَنْصُورِ مُسْتَحَثِّينَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَقُولُ: تَقَدَّمْ حَتَّى نَكُونَ كَتِفًا وَاحِدًا عَلَى التَّتَارِ.

فَتَخَيَّلَ مِنْ ذَلِكَ وَخَافَ أَنْ يَنْتَصِرَ عَلَيْهِ، فَكَرَّ رَاجِعًا إِلَى نَاحِيَةِ تِيهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَدَخَلَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ مَعَهُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَأَكْرَمَ الْمُظَفَّرُ الْمَلِكَ صَاحِبَ حَمَاةَ، وَوَعَدَهُ بِبَلَدِهِ، وَوَفَّى لَهُ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَدْخُلِ النَّاصِرُ وَلَيْتَهُ فَعَلَ، فَإِنَّهُ كَانَ

قال البزّار: "وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُ أَحَدًا رَوَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ إِلَّا عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ وَحْدَهُ، وَلَا نَعْلَمُ لَهُ طَرِيقًا إِلَّا هَذَا الطَّرِيقَ، وَلَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنِ ابْنِ شُرَيْحٍ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ".

قلت: عميرة بن ناجية، نسب عند البزار والحاكم والطبراني: ابن عبدالله -دون ذكر ناجية-، وقد ترجمه الذهبي في الميزان (٣/٢٩٧)، وقال: "مصري لا يدرى من هو".

وقال الألباني في "الضعيفة" (١٣/١٠٦٦): "وأما أبوه، فقد أغفلوه، ولم يترجموه، وذكر المزّي وتبعه الحافظ في الرواة عن (عمرو بن الحمق)؛ منسوبًا إلى أبيه (عامر المعافري)".

أَيْسَرَ عَلَيْهِ مِمَّا صَارَ إِلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ خَافَ مِنْهُمْ لِعَدَاوَةٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَعَدَلَ إِلَى نَاحِيَةِ الْكَرَكِ فَتَحَصَّنَ بِهَا، وَلَيْتَهُ اسْتَمَرَّ فِيهَا، وَلَكِنَّهُ قَلِقَ، فَرَكِبَ نَحْوَ الْبَرِّيَّةِ – وَلَيْتَهُ ذَهَبَ فِيهَا – وَاسْتَجَارَ بِبَعْضِ أُمَرَاءِ الْأَعْرَابِ، فَقَصَدَتْهُ التَّتَارُ، وَأَتْلَفُوا تِلْكَ الدِّيَارَ وَنَهَبُوا مَا هُنَالِكَ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَقَتَلُوا الْكِبَارَ وَالصِّغَارَ، وَهَجَمُوا عَلَى الْأَعْرَابِ الَّتِي بِتِلْكَ النَّوَاحِي، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَسَبَوْا مِنْ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، وَقَدِ اقْتَصَّ مِنْهُمُ الْعَرَبُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَغَارُوا عَلَى خَيْلِ جِشَارِهِمْ فِي نِصْفِ شَعْبَانَ، فَسَاقُوهَا بِأَسْرِهَا، فَسَاقَتْ وَرَاءَهُمُ التَّتَارُ، فَلَمْ يُدْرِكُوا مِنْهُمُ الْغُبَارَ، وَلَا اسْتَرَدُّوا مِنْهُمْ فَرَسًا وَلَا حِمَارًا، وَمَا زَالَ التَّتَارُ وَرَاءَ النَّاصِرِ حَتَّى أَخَذُوهُ وَأَسَرُوهُ عِنْدَ بِرْكَةِ زَيْزَاءَ، وَأَرْسَلُوهُ مَعَ وَلَدِهِ الْعَزِيزِ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَأَخِيهِ إِلَى مَلِكِهِمْ هُولَاكُو وَهُوَ نَازِلٌ عَلَى حَلَبَ، فَكَانُوا فِي أَسْرِهِ حَتَّى قَتَلَهُمْ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ...

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْمُظَفَّرَ لَمَّا بَلَغَهُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ التَّتَارِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسَةِ وَأَنَّهُمْ عَازِمُونَ عَلَى الدُّخُولِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بَعْدَ تَمْهِيدِ مَمْلَكَتِهِمْ بِالشَّامِ بَادَرَهُمْ هُوَ قَبْلَ أَنْ يُبَادِرُوهُ، وَبَرَزَ إِلَيْهِمْ، أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَقْدَمَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يُقْدِمُوا عَلَيْهِ، فَخَرَجَ بِالْعَسَاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ، وَقَدِ اجْتَمَعَتِ الْكَلِمَةُ عَلَيْهِ، حَتَّى انْتَهَى بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى الشَّامِ وَاسْتَيْقَظَ لَهُ عَسْكَرُ الْمَغُولِ، وَعَلَيْهِمْ كَتُبْغَا نُوِينَ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ فِي الْبِقَاعِ، فَاسْتَشَارَ الْأَشْرَفُ صَاحِبُ حِمْصَ وَالْقَاضِي مُجِيرُ الدِّينِ بْنُ الزَّكِيِّ فِي لِقَاءِ الْمُظَفَّرِ، فَأَشَارَ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ لَا قِبَلَ لَهُ بِالْمُظَفَّرِ حَتَّى يَسْتَمِدَّ هُولَاكُو، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يُنَاجِزَهُ سَرِيعًا، فَصَمَدُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ اجْتِمَاعُهُمْ عَلَى عَيْنِ جَالُوتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْخَامِسَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا عَظِيمًا شَدِيدًا، فَكَانَتِ النُّصْرَةُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، فَهَزَمَهُمُ الْمُسْلِمُونَ هَزِيمَةً هَائِلَةً، وَقُتِلَ كَتُبْغَا نُوِينَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ بَنِيهِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الَّذِي قَتَلَ كَتُبْغَا نُوِينَ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ آقُوشُ الشَّمْسِيُّ، وَاتَّبَعَهُمُ الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ يَقْتُلُونَهُمْ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ وَفِي كُلِّ مَأْزِقٍ، وَقَدْ قَاتَلَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ صَاحِبُ حَمَاةَ مَعَ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ قِتَالًا عَظِيمًا، وَكَذَلِكَ الْأَمِيرُ فَارِسُ الدِّينِ أَقْطَايَ الْمُسْتَعْرِبُ، وَكَانَ أَتَابِكَ الْعَسْكَرِ، وَقَدْ أُسِرَ مِنْ جَمَاعَةِ كَتُبْغَا نُوِينَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ بْنُ الْعَزِيزِ بْنِ الْعَادِلِ، فَأَمَرَ الْمُظَفَّرُ بِضَرْبِ عُنُقِهِ، وَاسْتَأْمَنَ الْأَشْرَفُ صَاحِبُ حِمْصَ وَكَانَ مَعَ التَّتَارِ، وَقَدْ جَعَلَهُ هُولَاكُو نَائِبًا عَلَى الشَّامِ كُلِّهِ، فَأَمَّنَهُ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ، وَرَدَّ إِلَيْهِ حِمْصَ، وَكَذَلِكَ رَدَّ حَمَاةَ إِلَى الْمَنْصُورِ، وَزَادَهُ الْمَعَرَّةَ وَغَيْرَهَا، وَأَطْلَقَ سَلَمْيَةَ لِلْأَمِيرِ شَرَفِ الدِّينِ عِيسَى بْنِ مُهَنَّا بْنِ مَانِعٍ أَمِيرِ الْعَرَبِ، وَاتَّبَعَ الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ بِيبَرْسُ الْبُنْدُقْدَارِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الشُّجْعَانِ التَّتَارَ يَقْتُلُونَهُمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ، إِلَى أَنْ وَصَلُوا خَلْفَهُمْ إِلَى حَلَبَ، وَهَرَبَ مَنْ بِدِمَشْقَ مِنْهُمْ، وَكَانَ هَرَبُهُمْ مِنْهَا يَوْمَ الْأَحَدِ السَّابِعَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ صَبِيحَةَ النَّصْرِ الَّذِي جَاءَتْ فِيهِ الْبِشَارَةُ بِالنُّصْرَةِ عَلَى عَيْنِ جَالُوتَ، فَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ دِمَشْقَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَيَنْهَبُونَ الْأَمْوَالَ فِيهِمْ، وَيَسْتَفِكُّونَ الْأُسَارَى مِنْ أَيْدِيهِمْ قَهْرًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَنُ عَلَى جَبْرِهِ الْإِسْلَامَ، وَمُعَامَلَتِهِ إِيَّاهُمْ بِلُطْفِهِ الْحَسَنِ.

وَجَاءَتْ بِذَلِكَ الْبِشَارَةُ السَّارَّةُ، فَجَاوَبَتْهَا الْبَشَائِرُ مِنَ الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ وَفَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمئِذٍ بِنَصْرِ اللَّهِ فَرَحًا شَدِيدًا، وَأَيَّدَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ تَأْيِيدًا، وَكُبِتَ أَعْدَاءُ اللَّهِ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ وَالْمُنَافِقُونَ، وَظَهَرَ دِينُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ، وَنَصَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَنَبِيَّهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ".اهـ

قلت: نستفيد من هذه الملحمة ما يلي:

١. غلبة أعداء الله من التتار على الشام واستيلاؤهم عليها بأكملها لا يعني القضاء على الإسلام وأهله، لكن الحرب سجال، والأيام دول.

وكذلك غلبة تتار هذا الزمان –الروافض واليهود– على بعض بلاد الشام –أو عليها كلها– لا يعني القضاء على الإسلام وأهله، لكن الحرب سجال، والأيام دول.

٢. شدة وبأس جند الإسلام في الديار المصرية، وأنهم أفضل مَن يُستعان بهم في وقت الشدائد، خاصة إذا صال أعداء الله على بلاد الإسلام ساعين لمحو الإسلام.

٣. تخاذل أمير من أمراء المسلمين عن الاتحاد والتعاون مع أصحاب الشوكة من الأمراء الآخرين، وانحيازه وحده، يجعله غنيمة سهلة في أيدي أعداء، مع تمكينهم من إيقاع القتل والسلب في المكان الذي ينحاز فيه وحده، كما حدث للناصر.

٤. التحام ولاة أمر المسلمين في مصر والشام وغيرها من بلاد الإسلام يجعلهم قوة ضاربة ترهب أعداء الله، وتكون سببًا في النصر وإعلاء كلمة الله.

٥. لا يأس من روح الله، فهما تغلَّب أعداء الله على بقاع من بلاد الإسلام، فإن تطهير هذه البقاع منهم ممكن ليس مستحيلاً، لكن الأمر يحتاج إلى اجتماع المسلمين على كلمة سواء مع التمسك بدينهم والاعتزاز به، وكبت رءوس النفاق والخيانة من أصحاب المذاهب المنحرفة الذين هم أعوان لأعداء الله؛ كي ينصر الله جند الإسلام، وتكون العاقبة لهم، وكما هَرَبَ مَنْ بِدِمَشْقَ مِن التتار، وجَاءَتْ الْبِشَارَةُ بِالنُّصْرَةِ فِي عَيْنِ جَالُوتَ، فَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ دِمَشْقَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَيَنْهَبُونَ الْأَمْوَالَ فِيهِمْ، وَيَسْتَفِكُّونَ الْأُسَارَى مِنْ أَيْدِيهِمْ قَهْرًا، كذلك سوف يهرب –إن شاء الله– الروافض في إيران وبغداد وحلب، وأعوانهم من اليهود والنصارى، ومن خونة الصوفية وحزب الإخوان المفسدين، وتأتي البشارة بالنصرة في واقعة –لا نعلم اسمها الآن، لكن الله يعلمها–، ويتّبعهم الجند الغربي يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَيَنْهَبُونَ الْأَمْوَالَ فِيهِمْ، وَيَسْتَفِكُّونَ الْأُسَارَى مِنْ أَيْدِيهِمْ قَهْرًا.

ويومئذ يفرحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ، ويُؤيد اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ تَأْيِيدًا، ويُكبت أَعْدَاءُ اللَّهِ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ وَالْمُنَافِقُونَ والروافض والنصيريين، وَيظْهَرَ دِينُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ، وَينصر اللَّهُ دِينَهُ وَنَبِيَّهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

وقال ابن الأثير في "الكامل في التاريخ" (٩/٣٩٥): "لما فرغ صلاح الدين من أمر عسقلان وما يجاورها من البلاد، على ما تقدّم، **وكان قد أرسل إلى مصر أخرج الأسطول الّذي بها في جمع من المقاتلة**، ومقدّمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب، وهو معروف بالشجاعة، والشهامة، ويُمن النقيبة، فأقاموا في البحر يقطعون الطريق على الفرنج، كلّما رأوا لهم مركبًا غنموه، وشانيًا أخذوه، فحين وصل الأسطول وخلا سرّه من تلك الناحية سار عن عسقلان إلى البيت المقدّس، وكان به البطرك المعظّم عندهم، وهو أعظم شأنًا من ملكهم، وبه أيضًا باليان بن بيرزان، صاحب الرملة، وكانت مرتبته عندهم تقارب مرتبة الملك، وبه أيضًا من خلّص من فرسانهم... إلخ".

وقال محمَّد بن سالم، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين (ت ٦٩٧هـ) في "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" (ص٢٤٨) في بيان قيام صلاح الدين بتنقية جند مصر من الخونة أتباع الشيعة الفاطميين الذين خانوا المسلمين وتواطؤوا مع الإفرنج: "وسيّر صلاح الدين كتابًا إلى نور الدين يتضمن ذكر القضية بخط المرتضى ابن قريش، فاتفق وصول الكتاب إلى دمشق يوم وفاة نور الدين -رحمه الله- فمنه فصل يقول فيه:

«لم نزل نتوسم من جند مصر، ومن أهل القصر، بعد ما أزال الله من بدعتهم -أي بدعة الفاطميين-، ونقض من عرى دولتهم، وخفض من مرفوع كلمتهم، أنهم أعداء وإن قعدت بهم الأيام، وأضداد وإن وقعت عليهم كلمة الإسلام»".

قلت: وهذه الصفوة التي اصطفاها صلاح الدين من الجيش المصري هم الذين استعان بهم في موقعة حطين، وكانوا خير عون له في تطهير بيت المقدس من الصليبيين.

وفي العصر الحديث كان النَّصر العزيز من الجيش المصري على اليهود المجرمين في حرب العاشر من رمضان؛ حيث أزلَّهم جند مصر ودحروهم، وجعلوا بعضهم يهرب كالجرذان في الجحور.

قال الفريق سعد الدين الشاذلي -رئيس أركان الحرب في القوات المسلحة المصرية في حرب العاشر من رمضان- في الفصل الخامس من مذكراته (ص٢٣): "لقد قمنا بطبع مليون ومائتي ألف نسخة من كتيب "عقيدتنا الدينية طريقنا للنصر"، وكانت تعليماتي تنصُّ على أن يحمله الجندي معه وهو في المعركة، وكان يوَزَّع على كل فرد من أفراد الاحتياط عندما يذهب إلى مراكز التعبئة".

وقد قال -رحمه الله- في هذا الكتاب: "عقيدتنا الدينية طريقنا للنصر" (ص٦-٨): "وقرَّر الإسلام مبدأ الحرية في العبادة، والاتصال بالله، فليس هناك وساطة بين الله وعباده، فليس هناك وساطة بين الله وعباده، ولا يتوقف اتصال الله بعبد من عباده على وساطة أحد، بل الله سميع بصير يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم السرَّ والنجوى، وبابه الكريم مفتوح، لكلِّ لاجئ ولكلّ طالب، يقول سبحانه: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}".

ثم قال: "فالذين اتصلوا بربِّهم وراقبوه وأخلصوا له العبادة والطاعة لا ينالهم همٌّ، ولا حزن ..{**فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**}".

قلت: وهذا فيه تقرير للتوحيد الذي دعا إليه الرسل جميعًا، من نفي الشركاء الوسطاء من الأموات وغيرهم من المخلوقين بين الربّ وعبده، مع إثبات صفات الله العليا وأسمائه الحسنى.

وقال قبل ذلك في مقدِّمة الرسالة: "إذا أصابك أيها الجندي بالخوف فلا تخجل من نفسك، أو تحتقرها فلست أول مَن يشعر بالخوف أو آخره، فإن آباءك من العرب البواسل الذي أذهلوا العالم بفتوحاتهم وانتصاراتهم على أقوى إمبراطوريتين في صدر الإسلام كانوا يشعرون بالخوف قبل بدء المعركة، وكانوا يستعينون بالصلاة وهم يركبون الخيل".

وقال في ختام المقدِّمة: "أبنائي الضباط والجنود.. لقد جاوز اليهود حدودهم من ظلمًا وصَلَفًا.. ونحن أبناء مصر قد عقدنا العزم أن نردهم على أعقابهم، وأن نجوس خلال مواقعهم قتلاً وتدميرًا؛ لكي نغسل عار هزيمة ١٩٦٧، ونسترد كرامتنا وكبرياءنا؛ {اقتلوهم حيث ثقفتموهم}، واحذروا أن يخدعوكم، فهم قوم خادعون قد يتظاهرون بالتسليم؛ كي يتمكنوا منكم فيقتلوكم بغتّة".

قلت: فهذه هي العقيدة التي دعا إليها رئيس أركان الجيش المصري الذي قاتل اليهود ودحرهم وجعلهم كالفئران في الجحور.

وقال -رحمه الله- في تقرير مبدأ الطاعة لولاة الأمر في المعروف كما في (ص١٦-١٧): "إن الطاعة أولى دعائم النظام العسكري، قال الله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**}..

لكن الطاعة التي يريدها الإسلام ليست هي عمياء، بل هي الطاعة الواعية البصيرة: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".

قلت: وهذا تقرير بيِّن لاعتقاد أهل السُّنَّة في مبدأ الطاعة، والذي يناقضه اعتقاد الخوارج على شتى فرقهم القديمة والمعاصرة.

ومن فرق الخوارج المعاصرة: حزب الإخوان -والذي تفرعت منه فرقة القطبية نسبة إلى سيد قطب-، حيث يقول كما في "مجموع الرسائل" (ص١٦٤): "واسمعوا وأطيعوا لقيادتكم في العسر واليسر، والمنشط والمكره، فهي رمز فكرتكم وحلقة الاتصال فيما بينكم".

وقال مقرّرًا الطاعة العمياء كما في رسالة "التعاليم" (ص٢٧٤): "وأريد بالطاعة امتثال الأمر وإنفاذه توًّا في العسر واليسر".

وقد اعترف محمد الغزالي -أحد الرموز الفكرية في حزب الإخوان- بتقرير الحزب لمبدأ الطاعة العمياء، كما في كتابه: "معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث" -والذي فضح فيه خبايا حزب الإخوان-، حيث قال في (ص٢٠٧):

"فمن المضحك المبكي أن يخطب الجمعة في مسجد الروضة عقب فصلنا من المركز العام مَن يؤكد أن الولاء للقيادة – أي قيادة الحزب– يكفِّر السيئات، وأن الخروج عن الجماعة يمحق الفضائل، وأن الذين نابذوا القيادة عادوا إلى الجاهلية الأولى لأنهم خلعوا البيعة...".

ثم قال: "ولنفرض أن رئيس الجماعة هو أمير المؤمنين وأنّ له حقوق الخليفة الأعظم، فهل هذا يؤتيه على أتباعه حقَّ الطاعة العمياء؟!

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُؤت هذا الحقّ، ففي بيعة النساء يقول الله له: **{وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ}**.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"..".اهـ

قلت: وهذا أحد أوجه الفروق بين عقيدة الجيش المصري وعقيدة حزب الإخوان، والتي تكشف لك أيها المستبصر أيُّ الفريقين أقرب إلى السُّنَّة!

نعم قد يوجد في صفوف الجيش مَن يعتقد بعض العقائد الخرافية في الأموات: الحسين، وزينب، والبدوي والدسوقي؛ نظرًا لغلبة الجهل، وغلبة دعاة السوء من الطرق الصوفية على بعض القرى والمناطق في مصر، لكن نرجو أن يكون هؤلاء قلّة، ولا تأثير كبير لهم، بل بعضهم ينسى هذه الخرافات، وتتبخر عند صيحة: "الله أكبر"!

ومهمّة مَن تعلَّم التوحيد من الضباط والقادة أن يعتنوا بإزالة هذه الخرافات والبدع من أذهان الجنود ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وبهذا نكون قد أجبنا عن الشق الثاني من السؤال الذي هو محور البحث:

هل يدخل جند مصر في أهل الغرب الذين هم من الطائفة المنصورة؟

ونصل الآن إلى إجابة الشق الأول:

هل تتنزل أحاديث الطائفة المنصورة وفضائل أهل الشام وأهل الغرب على حركة حماس الإخوانية؟

اعلم أولاً أن حركة حماس هي فرع حزب الإخوان في فلسطين، كما قال عبد الله عزام الفلسطيني -الإخواني القطبي المتعصِّب لحزبه- في كتابه "حماس الجذور التاريخية والميثاق" (ص٧) من ميثاق الحركة قال: المادة الثانية "صلة حركة المقاومة الإسلامية بجماعة الإخوان المسلمين": "حركة المقاومة الإسلامية جناح من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين، وحركة الإخوان المسلمين تنظيم عالمي، وهي كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث". اهـ

قلت: وأذاعت وكالة الأنباء الفلسطينية: "**معًا**"، وكذلك وكالة الأنباء الشيعية الإيرانية: "**مُهْر**"، هذا الخبر:

اعتبر رئيس المكتب السياسي لحركه المقاومة الإسلامية الفلسطينية: «**حماس**» **الابن الروحي للإمام الخميني**، وذلك لدى لقائه حسن الخميني حفيد الإمام الراحل.

قلت: إذا كان الخميني هو الأب، فلا ريب أن يكون سوء المنبت سببًا في فساد النبات الذي نبت منه، فإذا كان الخميني زنديقًا مكفِّرًا لأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وسائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ مؤلِّهًا لعلي وفاطمة والحسين رضي الله عنهم، وفي الوقت نفسه هو صنيعة الماسونية الصهيونية اليهودية في فرنسا وبريطانيا وأمريكا؛ فكيف يكون الابن الروحي له؟!

وأفادت وكالة "مُهْر" للأنباء أن "خالد مشعل" رئيس المكتب السياسي لحركه المقاومة الإسلامية الفلسطينية "حماس"، أكَّد في هذا اللقاء الذي تم يوم الأربعاء بعد وضعه إكليلاً من الزهور على مرقد الخميني، علي الدور الذي أداه مؤسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية في يقظة وصحوة الشعوب الإسلامية(٧).

وقد رحبَّ حفيد الإمام الراحل... في هذا اللقاء برئيس المكتب السياسي لحركة "حماس" والوفد المرافق له، وأكَّد أن القضية الفلسطينية كانت من أهم الهواجس لدى الإمام الراحل، وشدَّد على أن إيران تعتبر في الوقت الراهن هذه القضية من أهم مبادئها التي لن تتغير وستواصل وقوفها الي جانب الشعب الفلسطيني وتدعمه بكل قوة.

قلت: كذا يدغدغون عواطف الغوغاء والسُّذَّج بإظهار هذا التعاطف الكاذب مع فلسطين، ولو كانوا صادقين في حرصهم على مسلمي فلسطين، لكان مسلمو إيران من أهل السنة أولى بعطفهم، لكن في الواقع هم لا يرحمون مسلمًا أبدًا، بل إن أعظم أهدافهم هو إبادة المسلمين من أهل السنَّة في كل مكان:

١. ففي إيران ينكَّل بهم قتلاً وتشريدًا واعتقالاً، ولا يُسمَح لهم ببناء مساجد.
٢. وفي العراق تتم إبادة ممنهجة ضد أهل السنة على أيدي ميلشيات مقتدى الصدر الشيعي، وغيره من مجرمي الحرس الثوري الفارسي المجوسي.
٣. وفي لبنان على أيدي حسن نصر، الذي أهلكه اليهود بعد أن أخذوا بغيتهم منه.
٤. وفي سوريا على تم إبادة الآلاف على يد قاسم سلمياني.
٥. وفي فلسطين قامت ميلشيات أمل الشيعية بإبادة الفلسطينيين في مخيمات صبرا وشاتيلاً، وهم الذين أوعزوا إلى حماس القيام بحركة ٧ أكتوبر ٢٠٢٤ الفاشلة؛ كي يعطوا المسوّغ لليهود لإبادة أهل غزَّة وتدميرها.

فهذه حصيلة الدَّعم الفارسي المجوسي الإيراني لقضايا المسلمين، ومنها: القضية الفلسطينية.

فهل يقول عاقل يحترم عقله فضلاً عن عالم يحترم علمه ومسلم يحترم دينه -بعد هذه الحقائق-: إن حركة حماس الإخوانية المتواطئة مع الفرس المجوس الخمينيين تتنزل عليها أحاديث الطائفة المنصورة وفضائل أهل الشام وأهل الغرب؟!

---

(٧) انظر دور الخميني الضال في سعيه الحثيث إلى إفساد عقائد الأمة، وإلى إبادة أهل السنة في كل مكان.

لا يقول هذا إلا سفيه قد غلب سفهه على عقله فصار لا يعقل شيئًا، أو متعصِّبٌ أعمت العصبية بصيرته، فلا يفرّق بين حقٍّ وباطل؟ أو جاهل جهلاً مركبًا؟! وهؤلاء لا حيلة لنا فيهم إلا أن يهديهم الله عز وجل.

قال الله عز وجل: {**أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**}.

فكيف وقد اتفقت كلمة العلماء الربانيين -خاصة الذين عاصروا نشأة حزب الإخوان- على التحذير منه، وأنه حزب جمع تحت رايته جلُّ أهل البدع والأهواء، وأنه محاربٌ للسُّـــنّة وأهلها، وأنه قام على أصـــول الخوارج والصـوفية، وهذا يدركه كلُّ عالم يقرأ: "مذكرات الدعوة والداعية"، ورسـالة "التَّعاليم" لحسـن البنا، وكتب سـيد قطب -خاصَّة-، وكتابات رموز ومفكِّري حزب الإخوان عامَّة.

وصلَّى الله على محمد وعلى آله وأصحابه وسلّم.

وكتب

أبو عبدالأعلى خالد بن محمَّد بن عثمان المصري

السبت ١٩ ربيع الثاني ١٤٤٦ الموافق ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٤